عزيز نيسين

----

1. **الذئب أصله خروف**
2. **عاش الشيخ شزالت**
3. **الحمار الحائز على وسام**
4. **تنكة صدئة في الخزينة**
5. **السيدة قردة**
6. **كيف الطقس اليوم**
7. **الفئران تأكل بعضها**
8. **لا مكان للصحف في بيتنا**

الذئب أصله خروف ـ عزيز نيسن

في مكان مجهول لا تعرف موقعه بسهولة يعيش راع وأغنامه وكلابه. لكن الراعي لا يشبه الرعاة الآخرين.. فهو لا يعرف للرحمة معنى. ولا يعتقد أن للألم وجوداً.. كان ظالما. يحمل بدل الناي صفارة.. وبيده هراوة. والنعاج – التي يحلبها ويجز صوفها ويبيع أمعاءها ويأخذ روثها ويسلخ جلدها ويأكل لحمها ويستفيد من كل ما فيها – لا يكن لها شفقة أو محبة.. يحلب الأغنام يوميا ثلاث مرات حتى يسيل الدم من أثدائها.. وعندما تشكو ذارفة الدموع من عينها ينهال عليها ضربا على رؤوسها وظهورها.

لم تحتمل النعاج وحشيته فكانت تتناقص يوما بعد يوم.. لكنه ازداد قسوة.. فقد كان على العدد المتناقص من الأغنام أن يعوضه عن كل ما هرب أو مات من القطيع.. وقد فقد الراعي عقله وجن لأنه كان يحصل على حليب وصوف أقل مما كان يحصل عليه. وراح يطارد الأغنام المتبقية في الجبال والسهول حاملا هراوته في يده. ومطلقا كلابه أمامه. كان بين الأغنام خروف نحيف كان الراعي يريد حلبه والحصول منه على حليب عشرين جاموسة.. وكان غضبه أنه لا يحصل على قطرة حليب منه.. لأنه ببساطة خروف. وليس نعجة.. وفي يوم غضب الراعي منه وضربه ضربا مبرحا جعله يهرب أمامه.. فقال له الخروف : «يا سيدي الراعي أنا خروف قوائمي ليست مخصصة للركض بل للمشي.... الأغنام لا تركض. أتوسل إليك لا تضربني ولا تلاحقني ». لكن الراعي لم يستوعب ذلك ولم يكف عن ضربه.. ومع الأيام بدأ شكل أظلاف الخروف يتغير لكثرة هروبه إلى الجبال الصخرية والهضاب الوعرة للخلاص من قسوة الراعي القاتل.. طالت قوائمه ورفعت.. فازدادت سرعة ركضه هربا لكن الراعي لم يترك إليته.. فاضطر الخروف للركض أسرع. ولكثرة تمرغه فوق الصخور المسننة انقلعت أظلافه ونبتت مكانها أظافر من نوع آخر.. مدببة الرأس ومعقوفة.. لم تعد أظافر بل مخالب.

مرة أخرى لم يرحمه الراعي فواصل الخروف الركض فكان أن شفط بطنه إلى الداخل واستطال جسمه وتساقط صوفه.. ونبت مكان الصوف وبرة رمادية قصيرة وخشنة. وأصبح من الصعب على الراعي أن يلحق به.. لكن ما ان يلحق به حتى يواصل ضربه وإهانته. وهو ما جعل الخروف يرهف السمع حتى يستعد للهرب كلما سمع صوت قدوم الراعي أو كلابه. ومع تكرار المحاولة انتصبت أذناه وأصبحت مدببة قابلة للحركة في كل إتجاه.. على أن الراعي كان يستطيع أن يصل إليه ليلا وضربه براحته فالخراف لا ترى في الظلام.. وفي ليلة قال الخروف له : سيدي الراعي.. أنا خروف.. لا تحاول تحويلي إلى شيء آخر غير الخروف.. لكن الراعي لم يستوعب ما سمع.. فكان أن أصبح الخروف يسهر ليلا ويحدق بعينه في الظلام.. ولكثرة تحديقه كبرت عيناه وبدأت تطلقان شررا.. وغدت عيناه كعودي كبريت في الليل.. تريان في الظلام أيضا.

كانت نقطة ضعف الخروف هي إليته.. فهي ثقيلة تعطله عن الركض. لكن.. لكثرة الركض ذابت إليته واستطالت. وفي النهاية أصبحت ذيلا على شكل سوط. ورغم فشل الراعي في اللحاق به فإنه كان يلقي الحجارة عليه ويؤلمه.. وكرر الخروف على مسامع الراعي : «إنني خروف يا سيدي.. ولدت خروفا.. وأريد أن أموت كبشا.. فلماذا تضغط علي كي أتحول إلى مخلوق آخر ؟.»

لم يكن الراعي يفهم..فبدأ الخروف يهاجم الراعي عندما كان يحصره في حفرة ما لحماية نفسه من الضرب. وغضب الراعي أكثر.. فضاعف من قسوته بجنون لم يشعر به من قبل.. فاضطر الخروف أن يستعمل أسنانه. لكنه لم يستطع ذلك لأن أسنانه داخل ذقنه المفلطحة. وبعد محاولات دامت أياما بدأت أسنانة تنمو. وفيما بعد استطال لسانه أكثر. وأصبح صوته غليظا خشنا. ولم يستوعب الراعي ذلك.. وواصل ما يفعل وبالقسوة نفسها.

ذات صباح شتوي استيقظ الراعي مبكرا ليجد المكان مغطى بالجليد. وتناول هراوته التي سيحث بها نعاجه المتبقية على حليب عشر بقرات وذهب إلى الزريبة. لكن ما ان خرج من الباب حتى وجد بقعا من الدم الأحمر فوق الثلج.. ثم رأى أشلاء أغنام متناثرة.. لقد قتلت كافة النعاج ومزقت. ولم يبق منها ولا واحدة.. وظلل عينيه بيديه ونظر بعيدا فرأى الخروف.. كان الخروف قد مد قائمتيه الأماميتين قدامه وتمدد بجثته الضخمة على الثلج وهو يلعق بلسانه الطويل الدماء من حول فمه. ثمة كلبا حراسة يتمددان على جانبيه دون حراك.. ونهض الخروف وسار بهدوء نحو الراعي.. كان يصدر صوتا مرعبا.. وبينما الراعي يتراجع إلى الخلف مرتجفا قال متمتما : «يا خروفي.. يا خروفي.. يا خروفي الجميل ». عوى الخروف قائلا : «أنا لم أعد خروفا » كرر الراعي ما قال.. عوى الخروف قائلا : «في السابق كنت خروفا. ولكن بفضلك أصبحت ذئبا». وجرى وراءه.

عاش الشيخ شزالت - عزيز نيسن

الاسم يشبه الاسم والمكان يشبه المكان والإنسان يشبه الإنسان والرجل كأنه الرجل والمرأة كأنها المرأة. إن ما نحكيه حكاية.. فإذا زل لساننا وذكرنا اسمكم فنرجو عفوكم ».. كان يا مكان في أحد الأيام رجل في مدينة «بخارى» قلبه أطهر من الماء. عيناه في الأرض.جبينه في السماء.. ولا يتوانى لحظة عن ذكر الله. لا يقدم على سوء.. ولا يخطو خطوتين دون وضوء.. لا يعير انتباها لهراء.. ولا يقطع وقت صلاة.. بلغ الأربعين.. طوال حياته ما حفر أمام إنسان.. وما خلع ثيابه في الحرام. وما كتب حرفا دون معنى في كلام.. كان ملاكا لا ينقصه إلا جناحان.. اعتكف على الدعاء والرجاء وهو يكرر : «اللهم اجعلني أسمو في طريق الحق».. وفي نهاية الليلة الثالثة للدعاء سمع صوتا يدعوه أن يفتش في الأرض عن الشيخ «شزالت » ليهب نفسه له ويكون عبدا من عبيده.

قطع الرجل الجبال والوديان وسار على مدى صيفين وشتاء وفي النهاية وصل مدينة «بغداد ».. كان يسأل من يقابله عن الشيخ «شزالت».. لكن لا أحد كان يعرفه.. ووصل مدينة دمشق ومنها إلى مدينة شيراز لكنه لم يجد ما يريد.. صار الرجل عجوزا شعره منسدل على كتفيه ولحيته إلى صدره وعاد من جديد إلى مدينته : «بخارى».. مرت أيام لم يذق فيها زادا ولم يغمض له جفن ولم تعد ركبتاه تقدران على حملة فانهار على جانب النهر.. نظر إلى الماء قائلا لنفسه : «لأجدد وضوئي وأقيم الصلاة ». وبينما كان يتوضأ رأى خيارة تنساب إليه مع تيار الماء..لم يستطع المقاومة.. التقط الخيارة ليسد جوعه.. خيارة كبيرة أكلها على مرتين مضغها وبلعها.. لكنه سرعان ما قال لنفسه : «أكلت خيارة لا أعرف صاحبها.. هذه ثمرة محرمة.. سأبحث عن حقلها ثم سأعرف صاحبها واستسمحه عن الخيارة التي أكلتها.. ونهض بسرعة وسار في عكس التيار فوجد حقل خيار وسأل عن صاحبه وعرف مكانه.«

قرع الباب فوجد أصوات شتائم قوية تنبعث من الداخل.. وفتح الباب رجلا تتطاير من وجهه علامات الشر. وسأله : «ماذا تريد يا حمار ؟. فقال : أريد صاحب حقل الخيار.«

ودخل الرجل ليجد أربعين غرفة في الدار.. في كل غرفة أربعون من اللصوص والأشرار يلعبون القمار.. كان صاحب حقل الخيار يجلس متربعا يجمع حصته من الرابحين. قال له الرجل مزمجرا : «ماذا تريد يا حمار ؟.. فروى له قصة الخيارة وطلب أن يسامحه فيها.. فقال الرجل : هذا الحقل ليس لي وحدي.. نحن ثلاثة أخوة. رجلان وامرأة. أخي الأصغر يسكن في مدينة تدعى بلخ أما أختي فتسكن في مدينة مروة والخيارة التي أكلتها ليس لي فيها سوى الثلث.. سأسامحك فيه إذا ما خدمت في هذا البيت الذي أديره في القمار عشر سنوات. ثم بعد ذلك اذهب لتحصل على ثلثي السماح من أخي وأختي.«

لم يجد الرجل الزاهد مفرا من العمل عشر سنوات في المقمرة حارسا وكانسا وماسحا.. وخلال هذه السنوات تعلم كل ألعاب القمار وحيل الغش ليصبح مقامرا ما عرف التاريخ مثله. وما أن انتهت المدة حتى قال له الرجل : «سامحتك بثلث الخيارة التي أكلتها والآن اذهب إلى أخوي واستسمحهما.. أخذ العنوان وخرج إلى الطريق.. لكن لأنه اعتاد على

القمار ما عاد يستطيع الاستغناء عنه. وفي كل مكان ينزل فيه كان يكسب من يلاعبهم. وإذا وقع في طريقه بيت في قرية حوله إلى مقمرة.

وصل إلى البيت الذي يبحث عنه وقرعه ليجد رجلا ثملا يفتح له وسأله : ماذا تريد يا حمار ؟.. وحكى حكايته.. فأخذوه إلى صاحب البيت الذي طلب منه أن يسامحه في ثلث الخيارة. لكن الرجل أصر على أن يخدم في بيته المكون من أربعين غرفة في كل غرفة مشرب لمدة عشر سنوات حتى يسامحه.. وبعد أن انتهت المدة حلل الثلث الثاني من الخيارة التي أكلها في الحرام.. لكنه في المقابل تعلم فنون الشراب وطرد السكارى وأصبح سكيرا لا يوجد له مثيل في العالم.. صار يشرب في وقفة زجاجة وفي جلسة برميلا. وقال له صاحب البيت : سامحتك بثلث خيارتي والآن اذهب إلى أختي وها هو العنوان.

أخذ العنوان وذهب.. ولأنه اعتاد على الخمر والقمار فما عاد يستطيع دونهما صبرا. ولو صادف في طريقه قرية مؤلفة من بيتين حول الأول إلى مقمرة وحول الثاني إلى خمارة..وواصل سيره حتى وصل إلى البيت الثالث.. وما إن طرق الباب حتى وجد إمرأة عارية تفتح له الباب وهي تقول : تفضل يا روحي.. دخل.. كان في الداخل 40 غرفة في كل غرفة نساء عاريات ورجال يحتضنونهن مع موسيقى وشراب وغناء. صاحبة البيت عجوز شمطاء صرخت في وجهه : ماذا تريد يا حمار ؟. فحكى لها الحكاية وطلب منها أن تسامحه في ثلث الخيارة الباقي ليستريح ضميره.

قالت له : بيتي هذا بيت دعارة. أديره بعيدا عن الدولة. إذا عملت عندي هنا عشر سنوات سأسامحك بثلث الخيارة. وإلا فلن أسامحك.. وعبثا حاول المقاومة.. وعندما لم يجد مخرجا خدم في البيت عشرة أعوام.. وفي هذه الفترة استقبل الزبائن واشترى وأصبح في هذا العمل خبيرا ما عرف التاريخ مثله. وعندما انتهت المدة قبل ثوب المرأة واستأذنها.. فقالت له : سامحتك بثلث الخيارة التي أكلت.. هيا اذهب سهل الله لك الطريق. ليجعل الله التراب ذهبا بين يديك.

ومشى بلاد الله وعرف خلق الله.. قطع وديانا وجبالا..سار على مدى صيفين وشتاء.. ثم رأى في صباح أحد الأيام مدينة لا يعرف اسمها. كان ينبعث منها صوت الطبل والزمر.. قال لنفسه : لابد أنه العيد. دخل من باب المدينة ليجد زينة. أعلام وفوانيس.. طبول تقرع. ومزامير تصدح.. كان يسير وأمامه خمسة عازفين. وعلى بعد كل مئة خطوة تذبح الكباش والعجول والجمال والأغنام قرابين.. آلاف الأشخاص على جانبي الطريق احتشدوا وهتفوا بكل قوتهم «عاش الشيخ شزالت » دهش الرجل عندما وجد أشخاصا يلبسون معاطف رسمية يتوجهون إليه ويقبلون قدميه وثوبه ويديه. قال الرجل وهو في ذهول : ما هذا ؟. من هو الشيخ شزالت ؟ إنني أبحث عنه منذ سنوات.. قال مقبلو اليدين والثوب والقدمين : «رحماك.. نحن الذين نبحث عن الشيخ شزالت.. تعال لتكون على رأسنا.. قال : لا بد أن في الأمر خطأ.. قالوا «شهرتكم ملأت الأصقاع ». قالوا : «توقفوا. أنا مصاب بعلة ». قالوا : «كلنا مصابون بعلة ».. قال : «لكنني مقامر».. قالوا : «كلنا مقامرون لكن لم يرتق أحد منا لسموك.. لهذا ستكون ملكنا » قال : «لكني أيضا سكير » قالوا : «نحن جميعا نشرب ولكن لا أحد يشرب مثلك ».. قال : «وأنا كذلك.....» قالوا : «أحسن يا سلطاننا.. تفضل بالجلوس على عرشكم.«

فهم الرجل أنه أمضى ثلاثين عاما.. كل عشرة في مكان لكي يصل إلى علو «شزالت » وأن الشخص الذي يبحث عنه هو ذاته.. وقد انتظروه سنوات طويلة لكي يتوجوه وسط فرق الموسيقى. ودخل القصر. وجلس على العرش.

الحمار الحائز على وسام -عزيز نيسن-

كان في قديم الزمان .. بلد ، الغربال في التبن ، والجمل دلال،والجربوع حلاق ، و أنا في حضن امي اهتز ، وبكري مصطفى شيخ الاسلام، والجاويش انجلي قائد عام، وكركوز رئيس وزراء، وكان حاكم سلطان البلاد التي كانت تحت نفوذ هذا السلطان أشرقت شمس الحرية عليها ، واخضوضرت شجرة الديمقراطية في تربتها .. الخير كثير والراحة أكثر ، سكانها لا هم لهم ولا غم.

راحت أيام جاءت أيام ، حل فيها -وقاكم الله – قحط لا يوصف . الذين كانوا يأكلون الكثير واللذيذ أصبحوا محرومين حتى من كسرة الخبز اليابس.

وجد السلطان ان المجاعة ستفتك بالرعية فبحث عن طريق للخلاص . أطلق المنادين في انحاء البلاد ، دارها بلدة بلدة ، قرية قرية ، حارة حارة ، كان القرار الذي نادى به هكذا :

– يا أهالي البلد !الحاضر يعلم الغايب ! كل من قدم خدمة للسلطنة أو نفعا للوطن ، فليسرع الى القصر ليقدم له مولانا السلطان وساما.

نسي الناس جوعهم، حرمانهم ، همومهم ، ديونهم ،مصاريفهم ... وهرعوا الى السلطان هائمين بأوسمته .. فلكل وسام حسب حجم خدماته .. وسام المرتبة الأولى مطلي بالذهب، وسام المرتبة الثانية بماء الذهب ، وسام المرتبة الثالثة بالفضة ، وسام المرتبة الرابعة بالقصدير ،والخامس توتياء والسادس تنك وهكذا .. وهكذا فالأوسمة أنواع ..

الذاهب يحصل على وسام والآيب يحصل على وسام وبقي الحال على هذا حتى انه ، من فرط صنع الأوسمة ، لم يبق في بلاد السلطان ذاك شيء من خردة الحديد او توتياء او تنك..

وكيف ان (الجنجل) المعلق في رقبة البغل يصدر باهتزازه صوتا (شنغر شنغر)هكذا أخذت الأوسمة تهتز على السطور المنفوخة كالمنافيخ.

سمعت بقرة عن الأوسمة ،شنغر شنغر، تقرقع على صدور الناس ، وان السلطان يمنح قاصديه أوسمه ، ففكرت : – الوسام في الواقع من حقي انا!

ووضعت في ذهنها فكرة الحصول على الوسام.

وبالرغم من كون عمودها الفقري وقفصها الصدري ناقبين ، وأنها تطب على الأرض كمن يزحف زحفا ، فقد حضرت الى باب القصر ركضاً ،قالت لرئيس البوابين : – اخبروا السلطان بأن بقرة تريد مقابلته.

أرادوا صرفها فبدأت تخور : – لا أخطو خطوة واحدة من أمام الباب قبل ان أواجه السلطان!

أرسلوا للسلطان : – مولانا ، بقرة من رعيتكم تسأل المثول أمامكم.

لتات لنرى باية حال هي هذه البقرة!

قال السلطان : – خوري لنرى ما ستخورين به!

قالت البقرة : – مولاي ، سمعت بأنك توزع أوسمة أريد وساما.

فصرخ السلطان : – بأي حق ؟ و ماذا قدمت ؟ ما نفعك للوطن حتى نعطيك وساما !؟

قالت البقرة : – إذا لم أعط أنا وساما فمن يعطاه ؟؟؟ ماذا أقدم للإنسان بعد كل هذا ؟ تأكلون لحمي وتشربون حليبي وتلبسون جلدي . حتى روثي لا تتركونه .. بل تستعملونه فمن اجل وسام من التنك ماذا اعمل أيضا ؟؟؟

وجد السلطان الحق في طلب البقرة فأعطاها وساما من المرتبة الثانية . علقت البقرة الوسام في رقبتها وبينما هي عائدة من القصر ، ترقص فرحاً، التقت البغل : – مرحبا يا أختي البقرة ؟ – مرحبا يا أخي البغل! – ما كل هذا الانشراح ؟من أين أنت قادمة ؟ – شرحت البقرة كل شيء بالتفصيل ، وإذ قالت أنها أخذت وساما من السلطان ، هاج البغل ، وبهياجه ، وبنعاله الأربعة ، ذهب إلى قصر السلطان : – سأواجه مولانا السلطان ! – ممنوع

إلا انه وبعناده الموروث عن أبيه ، حرن وتعاطى على قائميه الخلفيين .أبى التراجع عن باب القصر. نقلوا الصورة إلى السلطان فقال : – البغل أيضا من رعيتي ، فليأت ونرى ؟؟

مثل البغل بين يديه . أخذ سلاما بغلياً ، قبّل اليد والثوب، ثم قال أنه يريد وساما فسأله السلطان : – ما الذي قدمته حتى تحصل على وسام ؟؟ – آ ... يا مولاي.. ومن قدم أكثر مما قدمت ؟ ألست من يجمل مدافعكم وبنادقكم على ظهره أيام الحرب ؟ألست من يركب أطفالكم وعيالكم ظهره أيام السلم ؟؟ لولاي ما استطعتم فعل شيء

أصدر السلطان اذ رأى البغل على حق قرارا:

أعطوا مواطني البغل وساما من المرتبة الأولى

وبينما كان البغل عائدا من القصر بنعاله الأربعة ، وهو في حالة فرح قصوى .. التقى بالحمار . قال الحمار : – مرحبا يا ابن الأخ

قال البغل : – مرحبا أيها العم . – من أين أنت قادم والى أين أنت ذاهب ؟

حكى له البغل حكايته قال الحمار : – ما دام الأمر هكذا سأذهب أنا الأخر إلى سلطاننا وآخذ وساماً!

وركض بنعاله الأربعة إلى القصر . صاح حراس القصر : داه .. جي .. لكنهم لم يستطيعوا صده بشكل من الإشكال ، فذهبوا إلى السلطان : – مواطنكم الحمار يريد المثول بين أيديكم . هلا تفضلتم بقبوله أيها السلطان ؟؟

قال السلطان: – ماذا تبغي يا مواطننا الحمار ؟

فاخبر الحمار السلطان رغبته . فقال السلطان وقد وصلت روحه إلى أنفه : – البقرة تنفع الوطن والرعية بلحمها وحليبها وجلدها وروثها ، وإذا قلت البغل ، فانه يحمل الأحمال على ظهره في الحرب والسلم ، ومن ثم فانه ينفع وطنه ، ماذا قدمت أنت حتى تأتي بحمرنتك وتمثل أمامي ، دون حياء ، وتطلب وساماً؟ .. ما هذا الخلط الذي تخلطه ؟

فقال الحمار وهو يتصدر مسروراً: – رحماك يا مولاي السلطان. إن أعظم الخدمات هي تلك التي تقدم إليكم من رعاياكم الحمير ، فلو لم يكن الألوف من الحمير مثلي بين رعيتكم ، أفكنتم تستطيعون الجلوس على العرش ؟هل كانت استمرت سلطتكم ؟ احمد ربك على كون رعيتكم حمير مثلي تماما ، ومن ثم على استمرار سلطنتكم!

أيقن السلطان أن الحمار الذي أمامه لن يرضى بوسام من التنك كغيره فقال : – إيه يا مواطني الحمار، ليس عندي وسام يليق بخدماتكم الجليلة ، لذا آمر بأن يقدم لك عدل من التبن يوميا في إسطبل القصر . كل كل .كل حتى تستمر سلطنتي

تنكة صدئة في الخزينة - عزيز نيسين-

كان يا ما كان..كان، أو ما كان...في قديم الزمان،مكان ما في العام،مكان ما كان فيه شئ ،في هذا المكان الذي ما كان فيه شئ،كان ثمة سلطان ، السلطان عنده خزينة،في الخزينة أمانة الشعب الغالية.الشعب يفخر بهذه الأمانة الآيلة إليه من أجداده...يتناسى فقره وبؤسه ويتباهى بها قائلاً:

وحتى لو لم يكن عندنا شئ يكفينا أن تكون عندنا هكذا أمانة من الأجداد لا يفعل ذلك شخص شخصان..وإنما كل فرد من أفراد الشعب يستأثر بحصة من المباهاة بهذه الأمانة القيمة الباقية له من أجداده...يحميها بروحه وجسده.

وطالما أن أحسن مكان لحفظ الأمانة التي هي مال الشعب .هو خزينة السلطان فقد خبئت فيها،يحرسها رجال مدججون،لا يغمض لهم جفن ولا يدعون الطير تطير فوقها.

السلطان والصدر الأعظم وذوو المراتب في القصر يقسمون بشرفهم مرة كل عام على حمايتها.

ودارت الأيام،ومرة الأيام...حتى جاء يوم فكر فيه السلطان بمعرفة ما هي هذه الأمانة التي يستفديها الناس بأرواحهم ودمائهم

فصار يتحرق شوقاً إلى معرفة ما بداخل خزينة الأمانة تلك.ولم يعد يطيق صبراً فدخل جناح الخزينة.

لا يستطيع الحراس القول للسلطان.ممنوع. فالسلطان والصدر الأعظم والوزراء يدخلون متى ما شاؤوا ليرو ما إذا كانت الخزينة لا تزال في مكانها.

السلطان فعل هكذا: الأمانة موجودة في غرف متداخلة.كل غرفة تؤدي إلى أخرى حتى الحادية والأربعين،حيث الخزينة الخزينة في خزائن متداخلة كل خزينة تفتح عن خزينة...حتى الحادية والأربعين .فتح الأربعين غرفة وخش الحادية والأربعين.فتح أربعين خزينة...وبينما كان يفتح الحادية والأربعين،أخذ قلبه يضرب...ذلك أنه كان يمتلك الكثير من الفضول لمعرفة الشئ الذي يحمونه طيلة هذه السنين.فماذا رأى؟

كانت جوهرة لم تقع عين بشر على مثيلها حتى ذلك الزمان جوهرة تتلألأ وتضطرم كألسنة النار.لو قلت من ذهب ما حزرت،أو قلت بلاتيناً لأخطأت،أو قلت من فضة ما أصبت.

لم يتمالك نفسه قال:آخذ أمانة الأجداد هذه لي ،تصبح ملكي...ومن الذي سيعرف وكيف؟

أخذا لأمانة المقدسة التي كانت تتلألأ كقطعة من الشمس ودسها في جيبه.لكنه بدأ يتخوف ماذا لو اكتشفوا أنني سرقتها؟..لأضع مكانها قطعة من الذهب مزينة بالماس واللؤلؤ والزمرد والصدف والياقوت.وطالما أنه لم يسبق لأحد أن رآها فلن يفهم أنها مسروقة،فيما لو فتحت الخزنة ذات يوم..

ومثلما قال فعل.أقفل إحدى وأربعين خزينة متداخلة،وفوقها واحداً وأربعين باباً،وهو يرتعش من خشية أن يشك أحد أنه سرق الأمانة.

حتى ذلك الزمان كان يقسم يمين واحد في السنة على حماية الأمانة،فضاعفها إلى متين:يجتمع أبناء الشعب والمديرون والسلطان ويقسمون على أنهم سيحمون الأمانة المقدسة الباقية من الأجداد، بأرواحهم ودمائهم.

الصدر الأعظم رجل داهية.داخله الشك فقال لنفسه كنا نقسم مرة في السنة فلماذا رفعها السلطان إلى اثنين؟وفي يوم من الأيام دخل جناح الخزينة موسوساً: ما هي هذه الأمانة التي نحميها طيلة هذه السنين؟مر من إحدي وأربعين غرفة،فتح إحدى وأربعين خزينة رأى الأمانة.وقف مشدوهاً أمام قطعة الذهب التي وضعها السلطان لئلا ينتبه لفعلته أحد.آخذ هذه الأمانة مكانها قطعة ذهب مزينة بحجارة لماعة. وكيفما كانت،وطالما أن الأمانة لا يعرفها أحد، فإن من يفتح الصندوق يوماً سيعتقد أن هذه هي الأمانة المقدسة..

ومثلما قال فعل.وخوفاً من أن تكشف عملته أزمع أن يرفع عدد المرات التي يقسم فيها اليمين إلى أربع : في الصيف والشتاء والربيع والخريف، مثلما سبق للسلطان أن رفعها إلى اثنتين.

ومثلما قال فعل.أقفل إحدى وأربعين خزينة متداخلة،وفوقها واحداً وأربعين باباً،وهو يرتعش من خشية أن يشك أحد أنه سرق الأمانة.

حتى ذلك الزمان كان يقسم يمين واحد في السنة على حماية الأمانة، فضاعفها إلى مرتين: يجتمع أبناء الشعب والمديرون والسلطان ويقسمون على أنهم سيحمون الأمانة المقدسة الباقية من الأجداد، بأرواحهم ودمائهم.

أحد الوزراء رجل داهية.دخل الشكل نفسه كنا،حتى الآن نقسم مرتين فلماذا زادوها إلى أربع؟

هو الآخر،وطالما أنه يستطيع الدخول دون اعتراض من أحد، فقد دخل يوما عبر الإحدى والأربعين غرفة،فتح الإحدى والأربعين خزينة،فلمعت عيناه بالفرح إذ رأى قطعة الذهب المزينة بالحجارة اللماعة : لو آخذها وأضع مكانها قطعة فضة،فمن سيعرف؟

ومثلما قال فعل ورفع مدفوعاً بخوفه من أن يكتشف أمره عدد مرات الحلفان إلى مرة كل شهر..صار الشعب يجتمع في الساحات العامة مرة كل شهر،ويقسم على أنه سيحمي الأمانة المقدسة حتى آخر رجل وآخر قطرة دم.

مشرف القصر واحد داهية، توسوس من رفع معدلات الإقسام إلى مرة في الشهر قال:ثمة ما يريب.لأذهب وأر مر من إحدى وأربعين غرفة،فتح الإحدى وأربعين خزينة.. رأى أمانة الأجداد المقدسة فأعجب بها:لو آخذها وأضع مكانها قطعة نحاس فمن الذي سيدري ؟

ومثلما قال فعل .فعلها، وخوفاً من افتضاح أمره،ولكي يعتقد الناس أنه حريص عليها،فقد جعل اليمين يقسم مرة في الأسبوع.

الضابط الذي يحمي الخزينة_ هو الآخر _ داهية:ما الذي يجري ؟ كل أسبوع نقسم. لأذهب وأر هذه الأمانة المقدسة .. وكما فعل الأخرون مر من إحدى وأربعين غرفة فتح احدى واربعين خزينة . رأى قطعة نحاس اللامعة ففرح بها: إذا أخذتها ووضعت مكانها قطعة حديد ، فمن سيعرف؟

ومثلما قال فعل .ولكي يملص من عملته ، وليعتقد الناس أنه غيور على الأمانة يفتديها بروحه وجسده، فقد رفع معدلات الحلفان إلى مرة في اليوم. ودارت الأيام، ومرت الأيام..ظهر من بين الناس رجل قال:

كل يوم ونحن نقسم على أننا سنحمي الأمانة الباقية من الأجداد بدمائنا وأرواحنا..ونحن في واقع الحال نخبئها في الخزينة ونحميها على نحو جيد..لكن ما هذه الأمانة؟ ألسنا نحن المؤتمنين عليها؟ تعالوا إذن نفتح الغرف والخزائن لنر ما نحمي.

أحدثت كلمات الرجل تأثيراً كتأثير القنبلة. الذين خانوا الأمانة، وعلى رأسهم السلطان، تقدموا نحوه وطوقوه، الذين

أخذوا الأمانة، على التوالي ، واستبدلوها بأشياء مزورة، مكل واحد منهم يعتقد أنه فعلها دون علم الآخرين، ارتعشوا خوفاً من اكتشاف السرقة، فقالوا للرجل الذي قال لنر الأمانة التي نحميها:

_آخ يا خاين..وأنت من أنت حتى ترى الأمانة المقدسة التي انتقلت الينا من الأجداد؟؟

ألبسوه تهمة الإقلال من هيبة الأمانة.. وما بقى إلا شئ قليل حتى يتحول الرجل إلى ..ممسحة..

قال السلطان:

إذا كنا سنقتل هذا الرجل فلنقتله وفق القانون...

ولكي يعدموا الرجل سنوا قانوناً خاصاً، وقتل الرجل بقرار محكمة خاصة.

بيد أن المسألة لم تنته بإعدام الرجل. كلماته انتقلت من فم الى فم.. والفكرة أخذت تكبر كجرف ثلجي.

في يوم من الايام فكر رجل من الناس لنذهب ونر هذه الامانة طالما أننا سنموت في سبيلها لكنه ولأنه يعرف ما جرى للذي قبله لم يتفوه بكلمة أمام البشر ، وضع في رأسه أنه سيتسلل الى الخزينة ويرى ما بداخلها سراً.

السلطان والصدر الأعظم والوزراء،وكافة حرامية الأمانة بمن فيهم الضابط الذي استبدل قطعة الحديد بتنكة صدئة ولكيلا تظهر سرقتهم ، أو بالأحرى لئلا يكتشف أنهم استبدلوها صاروا يحرسونها على نحو أشد.

وبينما كان الرجل الذي نجح في الدخول سراً إلى الخزينة ،بينما كان خارجاً بالأمانة المقدسة ليريها للناس،رأى الضابط التنكة في يده، فصرخ:

_هذه ليست هي!

الوزير قال أيضاً:هذه ليست هي!

الذين في القصر،بمن فيهم السلطان،قالوا:

هذه ليست هي !..هذه ليست هي..!

فسألهم الرجل الممسك بالتنكة الصدئة:

وكيف عرفتم أن هذه ليست الأمانة المقدسة؟ وإذا لم تكن هي ، فما هي..؟

لم يتمكن أحد من الحاضرين من الإجابة على سؤاله،ذلك أن كل واحد منهم قد فهم أن الشئ الذي وضعه بدل الأمانة قد سرق فيما بعد.

خنقوا الرجل الممسوك وأعادوا التنكة الصدئة الى مكانها ضمن احدى وأربعين خزينة واحدى وأربعين غرفة .ولحماية الأمانة المقدسة سنوا قانوناً يتوجب على كل فرد من الشعب بموجبه أن يحلف صباحاً وظهراً ومساء على حماية الأمانة المقدسة.

ولم يستطيع أحد من الذين يقسمون الأيمان أن يعرف أن الأمانة قد تحولت من سرقة الى سرقة إلى تنكة صدئة.

السيدة قردة ـ عزيز نسين-

كان في القفص أكثر من عشرة قرود، وكن يقمن بحركات على العصي العرضانية، تشبه الحركات التي يؤديها لاعبي الجمباز.كانت إحداها تجلس طرقة وكأنها (المفكر) لرودان. لم استطع تمييز القرد الكبير هذا عن الشمبانزي، تبادلت معه النظر فترة طويله : – هل تسمحون ؟

كنت سائرة قرب القفص ولأمر ما عدت .

– أقول لكم يا سيدي..هل تسمعوني دقيقة ..؟؟

كان المتكلم هو ذاته القرد الذي كان صافنا .. – هل أنت من يتكلم ؟

– دخيلك بهدوء.. لئلا يسمعنا مربي القرود فيمنعني عن الكلام . – لكنكم تحكون كالبشر.

-طبيعي فنحن بشر.

-كيف ؟ هل انتم بشر؟ مادام الأمر كذلك ، ماذا تفعلون بالقفص؟

-لست أول بشري يدخل القفص ياه..البعض يتزوج فيدخل القفص.. والبعض الآخر يدخل في قفص جدول الرواتب ... الم تدخلوا القفص قط ؟

– لا تنظري إلي فانا كاتب ساخر وعندما نصل إليها ، فسيقولون لي (حتى السبع يدخل القفص) ويزقونني بالسجن.

– السيد كاتب ساخر لي عندكم رجاء.

– تفضل يا سيد قرد ..

– انا لست سيدا ... انا سيدة ..

– إني أسمعك يا سيدة قردة..

– قلت لك إني لست قردة ... أنا بشر ...

– وما عملك هنا أنا لست افهم ..؟؟؟

- هذا ما سأحكيه لك ..:أنا أحب السينما كثيرا . كنت في يوم من الأيام معجبه بجريتا جاربو.. بدأت بحياة عجيبة،مثلها . تركت شعري ملخبطا على كتفي . لو رأيتموني في تلك الفترة بعدها جذبتني مارلينا ديتريش فرقت حاجبي بالملقط وتشبهت بها..دهنت وجهي ببودرة صفرة السل مثل مارلينا ديتريش ، صرت اشد خدي من الداخل ، مثلها تماما، ثم ظهرت سارة ليونارد ، فرحت أقلدها ، أسرح شعري مثلها ، وأغني بصوت مخنوق مثلها.

– أرجوك سيدتي ... لماذا أتيتم هنا ..؟؟

– ها أنا احكي لك ... بعد سارة ليونارد تشبهت ب كلارابو....صبغت شعري بالاسود الغامق .وتحزمت بالكورصة حتى أرقق خصري ..وعملت حاجبي رقيقين للغاية ..ولما ماتت جين هارلو – مع الأسف – بحادث طيارة ..اصبحت فيرونيكا ليك موديلي المفضل صار شعري يغطي إحدى عيني ..مثل فيرونيكا تماما ..وصرت أطلي شفتي الكبيرتين المكتنزتين بالأحمر الغامق مثلها ..؟؟

– أرجوك سيدتي ما الذي تريدينه مني ..؟

- لو تسمعون لي خمس دقائق فستعرفون ما أريد .. مرت موضة فيرونيكا بسرعة..لمعت اليزابيت تايلور، فأخذت اصبغ نفسي مثلها .. عملت شعري خصلا خصلا ... مثلها ، صار من يراني يقول : إليزابيت محلية ..!! لكن ... عندما تزوجت ريتا هايورايث من آغا خان ، صبغت شعري بالاحمر ..ورسمت على وجهي شامات ... مثلها بالضبط ..ولما تزايدت سرعة مارلين مونرو بالظهور ..بدلت هيئة وجهي وجسمي على موديلها فصار من يراني يقول (مارلين مونرو__نا).

– عن إذنكم أنا مستعجل عندي شغل ..

– قصتي على وشك الانتهاء ..؟؟ أرجوك قدم لي معروفا ..؟

– بسرعة رجاءا..

– لو أنكم شاهدتموني أيام ظهرت اوردي هيبيرون كل شيء في أصبح مثلها ...من شعري القصير كشعر الرجال ..حتى.. كل شيء..لكن جينا لولو بريجيدا غيرت كل شيء..

– فهمت أصبحت تشبهين جينا ثم قلدت صوفيا لورين ..

– صح ، كيف عرفت ذلك . وفي الأخر شبهت نفسي بجريس كيلي صرت اصبغ نفسي على طرازها ..وارتدي قبعات ثقيلة كما تفعل وهكذا وفجأة قبضوا علي ..

– لماذا قبض عليكم ...؟؟

- نعم في يوم كنت ماشية في الشارع . قبضوا علي وجاءوا بي إلى هنا ..صحت بهم أنا بشر ... لكنهم لا يسمعونني..

– لو أنكم راجعتم المحكمة ..

– راجعتها . أرسلوني إلى خبير معتمد ..الخبراء المعتمدون قدموا تقريرهم على أني قردة ..والآن : رجائي منك : من هي آخر نجمة سينمائية مشهورة اليوم ..؟؟ كيف تلبس؟ كيف تضع ماكياجها ..؟؟ كيف شعرها ؟ كيف تقف ؟ كيف تحكي ؟

وهنا مر بي مربي القرود وصاح بالقردة التي كانت تحادثني :

– أنت جديد ؟ أمن جديد ؟ أما زلت تقولين لهذا وذاك انك لست قردة .؟؟

واخذ بضرب الحيوان المسكين بالعصا ..أمسكت مربي الحيوانات وقلت له :

ما تفعله مخالف للقانون .. كيف تضرب إنسانا ؟؟؟

قال مربي الحيوانات :

– يا سيدي وهل صدقتم كلام هذه القردة ؟ أرجوكم انظروا إلى هذا الوجه ..إلى تفاصيل وجهها .. هل فيها شيء لا يشبه القردة .؟؟ أليس هذا وجه قردة الخالق الناطق ؟ وهل بقيت بينها وبين الإنسانية صلة ؟

نظرت في المرأة في القفص بتمعن .. إن المربي على حق قلت

– نعم أنها قردة .

– طبعا قردة . لقد عاينها كل الأساتذة والأطباء والبيطريون وقدموا تقاريرهم على إنها قردة..

وبينما كنت ابتعد كانت السيدة قردة تردد:

– آه ..من هي النجمة الأولى اليوم ...أرجوكم...

كيف الطقس اليوم ـ عزيز نيسن-

عليّ أولاً أن أعرفكم بسعدي بيك بصورة جيدة. ثمة نوع من الناس يقال فيهم إنهم" مثل بعر الأرنب لا يفوح ولا يلوث "إن سعدي بيك هو المثال الأفضل على هذا النوع. لا في العير ولا في النفير، لا للصيف ولا للضيف. فإذا سألته" كم حزباً في البلد؟ "فهو لن يجيبك حتى بـ"لا أعرف "بل يكتفي برفع كتفيه وزمّ شفتيه.

هو رجل رزين ومهذب، يكبرني بعشر سنوات لكنه يبدو بعمر أبي لشدة رزانته ورصانته، لا يمكنك اقتلاع الكلمة من فمه إلاّ مثل اقتلاع الضرس الملتهب، فهو يكاد لا يتكلم أبداً.

يقيم مع زوجته وابنته في قصر صغير عتيق في" أرن كوي "ورثه عن أبيه ولا يؤجر أياً من أجنحته على أمل أن يحصل لابنته على صهر يقيم معهم.

ألتقي به كل صباح، فإذا لم يحدث ذلك في القطار، حدث حتماً في عبّارة الساعة التاسعة التي تنطلق من" حيدر باشا."

اضطررت لملازمة الفراش خمسة عشر يوماً بسبب المرض، وفي اليوم الأول لعودتي إلى العمل بعد إبلالي من المرض ترجلنا، سعدي بيك وأنا، سوية من القطار ومشينا باتجاه العبّارة، وإذ بأحد المعارف يمر بنا ويقول لسعدي بيك:

ـ كيف الطقس يا سعدي بيك؟

ثم تابع طريقه من غير أن ينتظر جواباً من سعدي بيك. ثم لحق بنا واحد آخر وقال وهو يهبط السلالم الرخامية:

ـ مرحباً سعدي بيك.

ـ أهلاً..

ـ كيف الطقس يا سعدي بيك؟

قال الرجل ذلك وهرب مبتعداً، وكان واحداً من زملائنا. نظرت إلى وجه سعدي بيك، فوجدته شاحباً مثل كلس مزج بطلاء أخضر...

ثم سمعنا أصواتاً ساخرة خلفنا:

ـ كيف الطقس يا سعدي بيك؟

ـ كيف الطقس يا سعدي بيك؟

كان غضب سعدي بيك يتصاعد، لكنه يحاول إخفاءه. صعدنا إلى العبّارة وجلسنا في القاعة السفلى. قال رجل يجلس على مقربة:

ـ مرحبا سعدي بيك.

لم أكن على معرفة بهذا الرجل المسن والمتأنق. ردّ عليه سعدي بيك التحية:

ـ أهلاً يا سيدي.

ـ كيف الحال يا سيدي؟

ـ شكراً لكم. الحمد لله.

ـ أوه! أوه! أنعم الله عليكم بالصحة والعافية. كيف الطقس؟

قفز سعدي بيك من مكانه كالسهم، التقط قبعته وابتعد فخرجت معه لأنه رفيق طريقي لسنوات. وقفنا جنباً إلى جنب في مؤخر العبّارة. عرفت أنه مستاء جداً من شيء ما لكني تجنبت سؤاله خشية أن يزعجه السؤال. التزمنا الصمت حتى وصلت العبّارة إلى المرفأ. حيث سأله عدد من الأشخاص عن الطقس ونحن نترجل من العبّارة.

بدأت أغتاظ بدوري، وأردت التدخل لكني لم أفعل لأنني لا أعرف ما هو الموضوع. ولم يكن الغيظ يناسب هذا الرجل المهذب. سألته بعد أن صعدنا إلى الأتوبيس معاً:

ـ ما الأمر يا سعدي بيك؟ لماذا يسألك الجميع عن أحوال الطقس؟

نظر في وجهي نظرة ارتياب ثم قال:

ـ ألا تعرف؟

ـ لا... لا أعرف.

ـ سأحكي لك هذا المساء على العبّارة.

افترقنا عند أول النفق.

بقيت متشوقاً لما سيحكيه لي سعدي بيك، ولم يبرح خيالي مشهد وجهه الغاضب وهو الرجل اللبق المهذب ذو الأعصاب الباردة. إذن فقد حدث معه شيء ما في غضون الأسبوعين اللذين قضيتهما طريح الفراش.

التقينا في المساء عند جسر مرفأ" قاضي كوي ."قال لي:

ـ يحسن بنا ألا نستقل هذه العبّارة.

فهمت أنه يريد انتظار العبّارة التالية خشية التعرض لسخريات معارفه اللذين يستقلون هذه العبّارة.

كان ثمة بائعو سمك طازج على القوارب، اشترى منهم سعدي بيك كيلو ونصف من السمك، تمشينا لبعض الوقت على المرفأ، ثم ركبنا عبّارة الثامنة وعشر دقائق. السمك المبلل كاد يثقب أسفل الكيس الورق الذي تشبّع بالماء. وهكذا جلسنا فوق السطح وسعدي بيك يمسك بكيس السمك بحرص. قال لي:

ـ أنت لا تعرف إذن؟

في تلك اللحظة قال أحدهم:

ـ كيف الطقس اليوم يا سعدي بيك.

نهض سعدي بيك من مكانه دون أن يتفوه بكلمة واحدة. هبطنا معاً إلى الأسفل وقصدنا مؤخّر العبّارة حيث استند سعدي بيك إلى الدرابزين وجلست على المقعد الخشبي المجاور، وقد أمسك بكيس الورق بحرص شديد. قال لي:

ـ إياك وإياك! إذا فتح أحدهم حديثاً عن الطقس فاهرب منه على الفور! فإذا حدث وسألك عن الطقس فلا تنبس ببنت شفة، فليسأل ولكن لا تجبه. ذلك أنهم يبدؤون الكلام بهذه الطريقة أي بالسؤال عن أحوال الطقس ثم يستدرجون المرء ويقحمونه في ورطة. الرجل الذي أمامك يبدأ بكلمة الطقس فلا ترى خطراً في الحديث عن أحوال الطقس. بعد ذلك ينتقل من الطقس إلى الماء وإذ بموضوع الحديث ينزلق إلى الأرض. ثم... وإذ بك متورطاً بلا وعي في حديث... إياك! انتبه حماك الله... ها أنت في ورطة...

حدث ذلك منذ حوالي عشرة أيام... ركبت القطار من محطة" أرن كوي "كعادتي كلّ يوم. جاء شخص وجلس بجانبي. مضى بنا القطار بضع دقائق ونحن صامتان. ثم قال الرجل:

ـ الطقس يزداد سوءاً هذه الأيام.

لم أتفوه بكلمة لأنني لا أحبّ الناس الفضوليين من أمثاله. قال بعد قليل:

ـ الجوّ ينذر بالسوء، أليس كذلك يا سيدي؟

خجلت من الاستمرار بالصمت فقلت له:

ـ نعم.

لعنة الله عليّ إن كنت تفوّهت بأية كلمة أخرى.

بعد ذلك قال الرجل:

ـ يبدو أنها لن تمطر أبداً هذا العام.

الرجل يمد صحنه لالتقاط الكلام من فمي وأنا أجيبه بالصمت.

ـ أليس كذلك يا سيدي؟ الظاهر أنها لن تمطر أبداً هذا العام.

لا أخرجني الله حياً من هذه العبّارة إن كنت أكذب عليك، لقد أجبته بكلمة واحدة أيضاً:

ـ نعم.

وكيف أقول" لا "يا أخي؟ فهو يقول لي" :يبدو أنها لن تمطر"، فهل أرد عليه بالقول:

"لا، سوف تمطر"؟ فما أدراني إن كانت ستمطر، أم لا؟ هذه المرة انتقل الرجل إلى الحديث عن الماء، قال:

ـ لدينا شح في الماء... الوضع سيئ جداً

أنا صامت.

ـ أليس كذلك يا سيدي، لدينا شح في الماء؟

ـ نعم.

ـ إذا لم تهطل الأمطار سنشهد محلاً. هذا العام لدينا محل. يقال إن الأناضول تحترق من الجفاف.

ثم يضغط عليّ لأؤكد على كلامه:

ـ أليس كذلك يا سيدي؟

ـ نعم.

ـ سوف نضطر لشراء القمح من الخارج.

عندما رأى أنني لم أقل شيئاً، ألحّ قائلاً:

ـ سنشتري، أليس كذلك يا سيدي؟

ـ وهل أنا وزير التجارة يا أخي؟ مالي أنا إن اشترينا قمحاً أو شعيراً

ـ سنشتري أليس كذلك يا سيدي؟

ـ نعم.

ـ لا يمكن إدارة الأمور على هذه الصورة. إن الحكومة عاجزة عن إدارة هذه الأمور.

بدأنا من الطقس وانتهينا إلى الحكومة. هل يمكن للحكومة أن تخطر على البال إذا كان الحديث يدور عن الطقس؟ أترى من أين وإلى أين؟

ـ إن الحكومة عاجزة عن إدارة الأمور، أليس كذلك يا سيدي؟

بما أن الأمور وصلت إلى الحكومة، لم أجبه حتى بنعم هذه المرة. الطقس... فهمنا، والماء... فهمنا أيضاً، ولكن ما شأننا بالحكومة؟ التزمت الصمت، لكن الرجل لكز خاصرتي وصرخ قائلاً:

ـ أليس كذلك؟

ـ نعم.

ذلك أنه سيلكزني ثانية إذا لم أرد عليه.

ـ الأسعار ترتفع باطراد. ماذا سيحل بهذا الشعب؟

كان بوسعي أن أقول له: لا، الأسعار لا ترتفع، بل تنخفض يوماً بعد يوم ."لكن ذلك يقتضي طق الحنك مع الرجل. قلت له بهدف التخلص منه:

ـ نعم.

ـ سوف ننتهي إلى وضع كارثي.

إنه يفاقم من خطورة الكلام باطراد. التزمت الصمت بلا مبالاة، فقال:

ـ أليس كذلك يا سيدي؟

تابعت تجاهلي فلكزني مرة أخرى، فقفزت من مكاني وأنا أطلق أنّة.

ـ أليس كذلك يا سيدي؟

ـ نعم.

إذا لم أرد على سؤاله فسوف يوجه لكمة إلى أنفي ويسألني" :أليس كذلك؟ ."انتباهي منصرف إلى الخارج من خلال النافذة. لكننا لم نصل بعد إلى محطة حيدر باشا، حتى أنزل من القطار وأتخلص من الرجل.

تمادى الرجل وتمادى حتى تجاوز كل الحدود، ومن حين لآخر أردت أن أجيبه بـ"لا"ـ لكن ذلك يعني الدخول معه في جدال بين نعم ولا، في حين أنني لست بوارد جدال من هذا النوع.

يحكي ويحكي ويحكي، ثم يسألني:

ـ أليس كذلك يا سيدي؟

فإذا التزمت الصمت لكزني فأطلقت أنّة وملت جانباً، وقد حشرني الرجل لُصق النافذة فلم يعد بإمكاني أن أهرب وأنجو بجلدي. لم يبق أمامي إلا القفز من النافذة.

الرجل يحكي بلا توقف، ثم يضرب بيده على ركبتي ويسألني:

ـ أليس كذلك يا سيدي؟

فأمسّد مكان الضربة وأجيبه:

ـ نعم.

ثم يمسكني من كتفي ويهزني:

ـ أليس كذلك يا سيدي؟

ـ نعم.

كنت لأفضل لو بطحني على الأرض وضربني.. قصارى القول أننا وصلنا أخيراً محطة حيدر باشا بين لكز وصفع ولكم وشد ودفع وهز، والحمد لله...

عندما ترجلنا من القطار اختفى الرجل في الزحام، أما أنا فلم أرفع رأسي عن الأرض خشية أن أراه من جديد.

في اللحظة التي أردت فيها الصعود إلى العبّارة نقرت يدٌ على كتفي ثلاث مرات، التفتَ وإذ به شرطي، قال لي:

ـ تفضل معي إلى المخفر لحظة لو سمحت.

عندما سمعت كلمة المخفر ارتبط لساني، فأنا لم أدخل قسم شرطة في حياتي، ولا أعرف ما يكون، ولكن ما العمل...

ذهبت معه إلى المخفر، وماذا رأيت هناك؟ رأيت الرجل الذي واظب على سؤالي" :أليس كذلك يا سيدي؟ "مبتسماً بالإضافة إلى راكبين كانا يقتعدان المقعد المواجه لمقعدنا.

ظننت أن الراكبين قد أشفقا عليّ بعد رؤيتهما لذلك الرجل وهو يلكزني ويلكمني طوال الرحلة فقدما شكوى ضده، والله أعلم. قلت للمفوض:

ـ أولاً أنا لست مدعياً على أحد.

فقال المفوض:

ـ ولكن ثمة من هو مدع عليك، هذا الرجل قدم شكوى ضدك.

يا سلام! أنت تجيب بنعم على كل ما يقوله الرجل، فيقوم هو بتقديم شكوى ضدك! هل سمعت بما يشبه هذا؟

قال الرجل:

ـ نعم، لقد شتم الحكومة بكل ما يخطر على البال من شتائم، وهذا السيدان شاهدان على ما أقول.

ثم حكى كل ما قاله لي أثناء الرحلة ناقلاً إياه على لساني، قلت:

ـ أنا لم أقل هذا الكلام، بل هو الذي قاله.

وقال الشاهدان:

ـ نعم هو الذي قال الكلام، أما هذا الرجل فقد وافق على كل الكلام بنعم ونعم ونعم.

قال الرجل:

ـ لقد تحدثت بتلك الطريقة بقصد اختبار نواياه.

إذن فسوف أهلك بين الأرجل فقط لأنني قلت نعم.

أمسك سعدي بيك بكيس الورق المملوء بالسمك في حضنه وقال:

ـ السمكات تكاد تسقط فقد انفتح أسفل كيس الورق.

كان يمسك أسفل كيس الورق في راحتيه. سألته:

ـ ماذا حدث بعد ذلك يا سعدي بيك؟

ـ سجلوا إفاداتنا، والآن سنذهب إلى المحكمة.

ـ ولكن لماذا قدّم ذلك الرجل شكوى ضدك؟

لقد ثار فضولي مثلك لمعرفة ذلك، فسألته السؤال نفسه عندما خرجنا من المخفر.

فأجابني قائلاً:

ـ حينما كنت تجيبني بنعم لم تكن تفعل ذلك عن طيب خاطر، فخفت أن تشي بي، فسبقتك إلى المخفر بمجرّد نزولي من القطار.

فقلت له:

ـ حسناً يا أخي ما دمت خائفاً إلى هذه الدرجة، لماذا إذن تتمادى في الكلام وتضرب يميناً وشمالاً؟

ـ وماذا أفعل، فأنا غير قادر على ضبط لساني، يحدث هذا رغماً عني.

إذن، إياك ثم إياك! لا أحد قادر على تمالك نفسه في هذه الأيام. كل واحد يبحث عن أحد يشكو له همّه، وليس من المعقول أن يقف وسط الناس ويخطب فيهم بصورة مباشرة. لذلك فهو يبدأ بالحديث عن الطقس مع أي شخص قربه. الطقس ثم الماء... ثم تنتهي الأمور بهذه الطريقة. هل فهمت؟ إذا حدث وذكر لك أحدهم كلمة الطقس، فاهرب منه فوراً ولا تدعه يكمل كلامه، وإلا وجدت نفسك في ورطة مثلي.

ضحكت، ثم لم أتمالك نفسي عن سؤاله:

ـ كيف الطقس اليوم يا سعدي بيك؟

لم أكد أكمل جملتي حتى ضرب سعدي بيك على رأسي بكيس الورق المملوء بالسمك. في الوقت الذي ألقيت فيه بالسمك من فوق رأسي وثيابي، كان سعدي بيك قد اختفى عن الأنظار

الفئران تأكل بعضها - عزيز نيسن -

في احد الازمان واحد البلدان ... لا، الحكاية لا تصح هكذا ، تصح اذا حددنا الزمان والمكان .
الزمان : بعد الميلاد .
المكان : مكان ما في هذا العالم .
هاقد صار الزمان والمكان معروفين .

لنأت إلى الحادثة ، في المكان الذي ذكرناه ، والزمان الذي حددناه ، كان ثمة مخزن كبير . المخزن كان مملوءاً بما يؤكل ، يحرق ، يلبس ، ..يغسل . كل شيء مفصل مرتب.
الحبوب اليابسة كالحمص والفاصولياء والفول ... في طرف ، الحبوب كالذرة والأرز والشعير ..في طرف ... والأحذية والألبسة في طرف آخر .

كان يدير المخزن المحدد المكان والزمان ، مدير ناجح، في يوم لم يعد يعرف المدير الناجح ماذا يعمل ، الفئران احتلت المخزن . المأكولات صارت تتناقص. الفئران قرضت الجبن والخبز المقمر .

المدير الناجح لا يجلس ويداه على خصره ابداً، حارب الفئران بكل ما أوتي من بأس ، لكنه وبالرغم من كل ما بذله ، لم يكسب الحرب . الصابون وقطع الجبن تتناقص يوما بعد يوم ، الملابس أصبحت مثقبه ومهبرة ، أعشاش الفئران بنيت داخل أكياس الطحين ..
لم يبق اطمئنان على سلامة المخزن من الفئران التي أخذت تسمن وتسمن وتعجعج وتتكاثر كلما أكلت من الحبوب والأطعمة ، غصّ المخزن بالفئران ، واحتل جيش منها المخزن الكبير .. بدا انه حتى الوقوف بالمخزن مستحيل .. لم تكتفي الفئران بالتهام المأكولات وقرض الملبوسات وقضم الجبن والسجق ، بل إنها راحت تسن أسنانها وأظافرها بالجلود والأحذية والخشب ..
أصبحت الفئران من وفرة الغذاء ، بحجم القطط ،، ومع الزمن بحجم الكلاب ، كانت لا تهجع ابدا تتراكض وتتلاعب وتنط في المخزن .. وفوق ذلك سدت أكثر أماكن التهوية والإنارة والجمال فيه ..

المدير الناجح استمر في حربه مع الفئران دون هوادة .. وضع أكثر أنواع السموم مضاء كل جهة وكل صوب ... لم يستفد شيئا ... لا بل ان الفئران اعتادت على السم المقدم لها .. لأنها كانت تنتشي بتناولها كما ينتشي الإنسان المعتاد على سموم النشوة ، وبدات مع مرور الزمن تطلب السم اكثر .. وإذا لم يقدم لها هذا السم .. مع الزيادة عن اليوم السابق .. كانت تدب على الارض بأرجلها فتكاد تهد المخزن .
جمع مدير المخزن أفضل أنواع القطط وفلتها في المخزن ليلا ..وفي الصباح وجد وبر القطط المسكينة وبقايا عظامها ، لم تستطع القطط مجابهة الفئران ، ولم يقتلها أقوى السموم .
بدا المدير الناجح بصلي أفخاخ كبيرة .. وصار ... يحدث ان يقع بعض الفئران فيها في الفخ ... لكن اذا وقعت خمسة فارات في الفخ ليلا ... فانها تلد ما لايقل عن عشرين او ثلاثين فأرا في النهار .

وفكر المدير ... اهتدى الى طريقة فريدة : صنع ثلاث اقفاص جديدة .. رمى في كل منها ما كان يقع من الفئران الحية في الفخ ..امتلا كل قفص من الاقفاص بالفئران .. لم يقدم للفئران طعاما او اي شيء.. اختارت الفئران التي باتت على الطوى ثلاث أيام ، خمسة ايام ، اختارت الفئران الاضعف بينها ، قطعتها اكلتها اشبعت بطونها .. وبعد وقت جاعت ... بدات تتصارع ... وبنتيجة صراعها الدامي هذا ... سطت على واحدة منها .. حنقتها ،، قطعتها ... اكلتها ..وهكذا اخذ عدد الفئران يتناقص مع مرور الايام .. تبقى الفارة الاكبر ، صاحبة العزم الاقوى ، وتتقطع الفارات الضعيفات ويؤكلن .

تحولت الاقفاص المملوءة بالفئران الى ساحات حرب حقيقية ... بقي في كل قفص من الاقفاص الثلاث ثلاث الى خمس فئران ... الفارات الباقيات صرن يترامين على بعضهن ويتعاضضن ..قبل ان يشعرن بالجوع ..ذلك ان الواحدة منهّن اذا لم تفتك بلاخرى فان الاخرى ستقطعها تقطيعا ..

لذلك صارت كل فارة من الفئران من اجل حماية نفسها تستغل فترة نوم او سهو الفارة الاخرى لتنقض عليها وتخنقها وتقطعها ... واكثر من ذلك ... صارت تتحد فارتان او ثلاث في كل قفص ويهاجمن اخرى .. وتلك المتحدة في المطاف الاخير ... تتحاين الفرصة لياكل بعضها الاخر ...

اخيرا بقي في كل قفص فأرة واحدة : الاقوى ، الاذكى ، الاكبر ، الاكثر صمودا ...

عندما بقي في كل قفص فارة واحدة ... فتح الرجل أبواب القفص وفلت الفئران الثلاثة داخل المخزن .. واحدة واحدة ...؟؟

بدات تلك الفئران الثلاث ، الضخمة ، المغذاة ... المتوحشة ، المعتادة على اكل بنات جنسها ، تنقض على فئران المخزن .. مهما بلغ عددها ، تخنقها وتقطعها وتلتهمها .. ولكونها توحشت ... صارت تاكل ما ياكل من الفئران وتقتل الباقي من اجل حماية نفسها ... كيلا تخنقها وتلتهمها الفارات الاخريات ...

وهكذا ، وحلال مدة قصيرة... تخلص المحزن الآنف الذكر من الفئران ...

الحكاية انتهت هنا ...

لا مكان للصحف في بيتنا - عزيز نيسين

كيف يسمح بوجود الصحف في بيت ينمو فيه الاطفال !

وكم من الدماء افسدوا لنا... ابني الكبير في الصف الثاني، البنت في الاول، والصغير مازال في البيت. في يوم الاحد كانت الاسرة كلها مجتمعة. وفي ايام الاحاد. كنا نستلم خمسة صحف اما في ايام العمل فثلاث .

- جدتي، ماذا تعني ستربتيز؟ سأل الولد. كانت الجدة تكوي البياضات في الغرفة نفسها .

- اخرس. من اين تعلمت هذه الكلمة! يجب وضع الفلفل في فمك على هذه الكلمة! يأتي بكل سخافة انهالت امي على الولد .

- لم آت بشيء، هكذا يكتبون في الجريدة ...نجمة الستربتيز... اجاب الولد .

- اخرس، قلت لك!.. صاحت والدتي وسحبت الجريدة منه .

- ليس هكذا، قلت لوالدتي سيستفهم الولد بهذا الشكل اكثر .على السؤال يجب الجواب ..

- هذا الذي كان ناقصا! قالت والدتي... واحدة في مثل سني تشرح لولد ماتعنيه كلمة ستربتيز. عندها توجه اليّ الولد بالسؤال :

- بابا، ماذا تعني ستربتيز؟

- هات الجريدة لارى

جلب الجريدة.. صورة معبرة. عندما بدأت اشرح المشهد عما تعنيه الكلمة اقترب الصغيران الاخران .

- هل ترون هذه الصورة... اذا قامت المرأة هكذا بخلع اردیتها رداء وراء الاخر يسمى هذا (ستربتيزاً). المرأة في الصورة تخلع اردیتها تريد الذهاب الى النوم .

- والاولاد الا يعملوا ستربتيز؟ سألت ابنتي .

- لا.. الفتيات فقط

- لماذا؟

ماذا اجيب؟

- الشباب لا يخلعون اردیتهم هكذا.. البنات فقط .

- هل سأعمل انا ستربتيزاً؟

- هذا ايضا!.. صاحت الجدة

- انت لن تعملي يابنيتي... قلت لها .

- لماذا؟ الست فتاة؟

- يا مجنونة مازلت صغيرة.. تكبرين وتعملين... قال لها ابني مقالة العارف .

- جدتي هل كنت تعملين ستربتيزاً؟ سألت البنت جدتها فجأة .

- علمهم... علمهم قالت لي امي بحنق وخرجت من الغرفة الى المطبخ هازة رأسها .

مساء وعلى العشاء ,كان مفترضا ان يأتينا ضيوف ثلاثة من أصحابي مع زوجاتهم مخرج، مهندس ومدير عام. منذ زمن بعيد وأن اميل للسينما لذا فقد كوّنا مجموعة سينمائية، والاجتماع من اجل بحث امور العمل. كان علي ان اكتب السيناريو، المدير العام والمهندس وعدا بتمويل المشروع، زوجة المهندس تلعب الدور الرئيسي في الفيلم، والمخرج لاخراج الفيلم .متعاونين بهذا الشكل كنا نرغب بإنتاج فيلمنا الاول بأقل التكاليف. التم الضيوف. كنا لا نزال جالسين الى الطاولة والبحث يجري. كان الاطفال في الغرفة ايضا. فجأة اسمع ابني الاكبر يسأل زوجة المخرج، وهي راقصة سابقة :

ـ خالتي.. هل تستطيعين ان تعملي ستربتيزاً؟

ستظن حتما بأن نحن الذين علمنا الولد ...اسكت.. اصمت. اشرت اليه مضطربا

ـ لقد قرأ اليوم في الصحيفة هذا قلت لهم مكشراً .

ـ ولكن بابا لماذا يخلعون الملابس بهذه الطريقة .

اسرعت زوجتي بإخراج الطفل من الغرفة. واخذنا بالتحدث حول الفيلم. فجأة برز ابني في غرفة الضيوف والجريدة في يده متوجهاً فوراً الى زوجة المخرج :

ـ خاله، ماذا تعني كلمة (بيت عمومي)؟ توجد هنا صورة... انظري ...

ـ تعال الى هنا ـ قلت له فورا تعال ـ لاشرح لك انا... (البيت العمومي .(ومن اجل انقاذ الموقف قلت موجهاً الحديث للضيوف .

ـ طفل... اولاد فضوليون.. يقرؤون كل ما يرونه في الصحيفة ويستفهمون عن كل شيء .

ـ هيا بابا... بسرعة .

ـ البيت العمومي هو بيت عادي ولكنه عمومي ..

ـ وهل بيتنا عمومي !

ابتسم الضيوف

ـ لا اجبته بيتنا خصوصي ...

ـ لم افهم شيئاً، ولكن ماذا تعني (بيت عمومي)؟

ـ سأقول لك غدا... اذهب الان الى اخيك واختك ...

في هذه المرة دخلت الصغيرة والملحق بيدها وقالت لنجمة السينما :

ـ خالتي .اقرأي ماذا تقول هذه الخالة ...

ـ اية خالة؟

قرأت في الصحيفة اسم نجمة سينما شهيرة تقول: (الطريق الى المجد يمر عبر سرير المخرج .(

ـ ترهات جرائد سخيفة قالت زوجة المخرج .

ـ بابا ولكن لماذا يمر الطريق عبر السرير؟

ـ يا ابنتي الا تنامين احيانا مع ماما في السرير؟

ـ ولكن الا يوجد لنجمة السينما سرير خاص؟

- يوجد، يوجد... يوجد ولكن احيانا مثلا تتأخر على الباص او تمرض ...

هبت زوجة المهندس واقفة .

- نحن نستأذن .

- مازال الوقت باكرا جدا؟ الى اين؟ والعشاء؟

أنا مستاءة قالت زوجة المخرج .

- عدم المؤاخذة... مستاؤون مني؟ من ولد غير واع

يسأل عن معنى البيت العمومي؟

تغيرت القسمات على وجوه الجميع فجأة .

نهضت ايضا زوجة المدير العام .

- نحن ايضا... آن اوان الذهاب .

- ياسادة ارجوكم... ارجو عدم المؤاخذة... اذا كان اطفالنا ...

قام الضيوف وخرجوا بهدوء. حسن ان الامر انتهى عند انهيار مشروع الفيلم. استاء اصدقائي الثلاثة مع زوجاتهم ومنا ومن بعضهم. اما زوجتي فقد رتبت علقة جيدة للاولاد، وبالكاد استطعنا تخليصهم من بين يديها

- هذا ليس تربوياً ...

منذ ذلك اليوم وانا لا اسمح للصحف دخول بيتي اقوم بقراءة الجرائد اثناء العمل واجلبها الى البيت سرا لتقرأها زوجتي ليلا على السرير .

لن تستطيع الجرائد التسلل الى بيتنا... لن تستطيع ...